مــؤرخ الكــوفة البــراقي

الأستاذ: معن حمدان علي

تحتضن النجف، ومنذ أكثر من ألف عام «الحوزة العلمية»، التي هي أكبر جامعة للدراسات الإسلامية في الشرق الإسلامي، وهي كيان علمي يؤهل للتفقه في علوم الشريعة الإسلامية، وتبليغها للناس. وهذا ما أعطى النجف «مذاقاً خاصاً» هو «الجو العلمي» الذي ساد على تطرف المناخ؛ وجفاف محيط مدينة صغيرة تتربع على حافة الصحراء.

عاشت «الحوزة العلمية» هذه الفترة الطويلة، ومرت بأطوار كثيرة ـ لا مجال لذكرها هنا ـ وبما أن اهتمامنا منصباً على موضوع مؤرخ الكوفة، فإنه يفرض علينا تسليط الضوء على الفترة التي عاشها مؤرخنا.

لقد اقتصرت الدراسات الدينية في هذه الفترة ـ موضوع البحث ـ وهو القرن ١٣هـ/ ١٩م وما قبلها على موضوعي الفقه والأصول، إن لم أقل على أبواب محدودة من الفقه، وإن وجد الفقيه في الزمان فسحة فيحتمل أن يوجه اهتمامه إلى التفسير أو علم الدراية أو الكلام. وهنا أتذكر حادثتين، الأولى: ملخصها أن أحد أفذاذ العلماء الذي صار رمزاً شاخصاً؛ باع في شبابه كتاب «الحدائق» للعلامة يوسف البحراني واشترى بثمنه، لضيق ذات اليد، كتاب (الأسفار) لصدر الدين الشيرازي، فأصبح بين أصدقائه ومعارفه موضعاً للتندر والاستخفاف، فكيف يبدل كتاباً في الفقه الاستدلالي بآخر في الفلسفة. والحادثة الثانية: وقعت لنجم نيّر في سماء العالم الإسلامي، قال متألماً من جمود البعض: «عندما شرب ابني الصغير الماء من إناء، أخذوا ذلك الإناء وطهروه بالماء لأنني كنت أدرس الفلسفة»!!

وفي مثل هذا المحيط، يبرز رجل جلُّ همه مصروفٌ إلى التاريخ؛ والتاريخ فقط، بحثاً وتنقيباً وتدويناً، وقضى فيه عمره مخلفاً مادة تاريخية غزيرة هي نتيجة حياته، وثمرة أتعابه، وخلاصة تتبعاته، ذلك هو المؤرخ السيد حسين البراقي.

نسبه:

ساق البراقي نسبه هكذا، وهو: «السيد حسين بن السيد أحمد بن السيد حسين بن السيد إسماعيل بن السيد زين بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد يحيى بن أبي الغنائم بن محمد بن الفضائل بن أحمد بن علي بن أحمد بن المرجان بن أحمد بن محمد بن حسن بن علي بن حسن بن عبد الرحمن الشجري بن محمد بن القاسم بن حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الشهير بالأبرقي النجفي الغروي أصلاً ومولداً ومسكناً ومدفناً»[١].

ونقلت كل المصادر التي ترجمت البراقي هذا النسب اعتماداً على البراقي نفسه[٢]، أما أستاذنا الدكتور عماد عبد السلام رؤوف فقد نقل نسباً للبراقي اعتماداً على كتاب المجموعة المشجرة في الأنساب الطاهرة للسيد القابجي المعاصر، الذي يرى أن جده هو «إسماعيل بن زين الدين بن محمد المعروف بالبراق بن علي بن يحيى المنتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام»[٣].

وإن كان لي حق في أن أدلي بدلوي أقول: إن السلسلة النسبية التي ذكرها البراقي نفسه؛ فيها تأمل، لأن من الصعب الاتصال بالإمام علي عليه السلام عن طريق (٢٤) جداً، والمدة الزمنية الفاصلة بينهم طويلة، وإن صحّ هذا النسب ففيه قطع، خصوصاً أن البراقي من المؤلفين في الأنساب. وأما السلسلة التي نقلها لنا الدكتور الفاضل عماد فهي غير كاملة، وإن اختلفت عن كل الروايات، وأخيراً قيمة المرء ما يحسن أولاً وأخيراً.

أسرته:

إن أصل الأسرة من بغداد، وبالذات من الكرادة (كرادة مريم أو الشرقية؟)، والكرادة آنذاك ضاحية زراعية من ضواحي بغداد، وأن أول من انتقل إلى النجف الأشرف السيد إسماعيل بن زين (زين الدين) للتحصيل العلمي، وسكن في محلة البراق؛ وهي واحدة من أربع محلات تتكون منها النجف وقتئذٍ، وقد أخذ لقبه منها فعرف بالبراقي، وكان ذلك في النصف الأول من القرن الثاني عشر هجري (١٨م).

وهناك رواية تقول: إن السيد إسماعيل انتقل إلى كربلاء، فولد له فيها ولد سماه

---

(١) البراقي، «البقعة البهية في مبدأ الكوفة الذكية»، (مخطوط)، ص ١٤٠.

(٢) عبد المولى الطريحي، مجلة المرشد، المجلد ٣، العدد ٧، ص ٢٨٧، الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٨، أغابزرك الطهراني، نقباء البشر (طبقات أعلام الشيعة)، النجف الأشرف ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤، ص ٥٢٣، محمد علي جعفر التميمي، مشهد الإمام، النجف الأشرف ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤، ٢/١٦٨، محمد هادي الأميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ط٢، ١٤١٣ ـ ١٩٩٢، ١/ ٢٢٤.

(٣) مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥٦، الصادر في سنة ١٤١٨ ـ ١٩٩٨.

حسيناً، وشاء الله أن يقتل ـ احتمالاً ـ على أيدي الوهابيين سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وإن الأسرة رجعت إلى النجف، يرأسها أحمد بن حسين وكان يمتهن التجارة كوالده[١].

ولد مؤرخنا السيد حسين بن أحمد البراقي في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٦١هـ أو بعدها بسنة (١٨٤٥م)، قد عرف بأسم التحبب وهو حسون، الذي لازمه طيلة حياته ولم يعرف إلا به.

شـــخصيته:

حدثنا العلامة المرحوم محمد رضا الشبيبي ـ وهو من معاصري مؤرخنا ـ عنه قائلاً: «كنا خلال أيام الطفولة نكثر الاختلاف إلى دار السيد البراقي للاستظهار من القرآن المجيد، فكانت داره لا تخلو من غروس مخضرة، ومن شجرة ونخيلة قائمة، وهناك شويهة مرتبطة، وههنا وحشية مقتنصة، وثم طويرات جميلة تتطاير في فضاء الدار، أو تتدافع في ساحتها الواسعة، يتعهدها شيخ مشرق الوجه باسم الثغر، نحيف إلى الطول والسمرة، وكل ما يبدو لك في الدار يدل على لطف الطبع، واجتناب التكلف، والميل إلى الحياة في مظاهرها الصحيحة. كان البراقي مع ذلك رقيق القلب، جم المروءة، ومنفاقاً على عياله الكثيرين»[٢].

ورث البراقي مهنة عائلته البسيطة، وهي البيع والشراء، وكان مكتفياً بها، إلا أن اختلافه إلى المجالس والنوادي التي كانت النجف الأشرق تعج بها، حبب إليه التاريخ وأخباره، وهو الذي لم يأخذ من العلوم إلا طرفاً من العربية، ولم يكتفِ بعدها بالاستماع فقط، فقد مضى في طرح الأسئلة على أهل العلم والمعمرين ليزيد من معلوماته التاريخية التي أخذ يدونها في دفاتر، ومن حسن الصدف أن حفظ لنا الزمن أحد هذه الدفاتر، وقد كتب له عنوان هو (مجموعة أخبار وتاريخ)، وهو يضم أخباراً سمعها؛ ونصوصاً نقلها من مختلف المصادر[٣].

ثم ارتقى البراقي إلى مرحلة قراءة الكتب والتنقيب في المصادر التاريخية، التي استنسخ الكثير منها بخط يده، لحاجته إليها وعجزه عن شرائها لضعف حاله، وبما أن تاريخ النجف، وما يحيط بها هو محور اهتمامه، فقد بلغ أخيراً مرحلة «المعاينة» التي عرفها الواقدي بأنها: معاينة الآثار التي وقعت بها الأحداث، ومطابقتها مع معطيات قراءاته.

---

(١) د. عماد عبد السلام، مجلة المؤرخ العربي، (حسون البراقي، مؤرخ الكوفة).

(٢) مجلة الاعتدال، العدد الثالث من السنة الأولى ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م، وقد طبع مقدمة لتاريخ الكوفة للبراقي، التميمي، مشهد الإمام، ٢/ ١٦٨.

(٣) يوجد هذا الدفتر في مكتبة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وهي تضم جملة صالحة من مؤلفات البراقي.

فهو مثلاً عيّن حدود الكوفة بقوله: «أحد حدودها خندق الكوفة المعروف بكري سعد، والحد الآخر القاضي، الذي هو بقرب القائم، إلى أن يصل قريباً من القرية المعروفة بالشنافية، والحد الآخر الفرات، الذي هو ممتد من الديوانية إلى الحسكة، إلى القرية المعروبة اليوم (أبو قوارير)، وهي منزل الرماحية، والحد الرابع قرى العذار، التي هي من نواحي الحلة السيفية»(١).

وحقق قبور بعض من دفن في الكوفة، فقال في قبر إبراهيم بن عبد الله المحض المعروف بأحمر العينين، المقتول سنة ١٤٥هـ، والمدفون في باخمرا من أعمال الكوفة إن «القبر الذي بقرب قرية «أبو قوارير»، وأهلها اليوم مكارية من الرماحية يدفنون موتاهم بقربه، أو القبر الذي في العذار بقرب الحلة السيفية وهو الأشبه»(٢).

هجرته من النجف:

قال العلامة الشبيبي رحمه الله: «كان البراقي مع ذلك رقيق القلب، جم المروءة، منفاقاً على عياله الكثيرين، ممتعضاً متبرماً من أخلاق معاصريه، لا سيما الطبقة التي انتظم في سلكها، شكا في مؤلفاته مما تسرب إلى بيئته إذ ذاك من مساوىء غريبة لا تتفق مع ما طبع عليه العربي الصريح من شيم محمودة وأخلاق فاضلة، حتى حمله ذلك على الانتزاح إلى قرية من قرى السواد وهي قرية اللهيبات، إحدى قرى الحيرة، وذلك في حدود سنة ١٣٢٠هـ [١٩٠٢م] فأقام فيها على نكد من العيش وضيق المكسب، يستغل هو وأولاده ضيعة صغيرة تفادياً من مساءلة اللئام»(٣).

ونقل هذا الكلام أغلب من ترجم البراقي بعده(٤). وزاد الدكتور الفاضل عماد عبد السلام على ذلك قوله: «ومن الممكن أن يكون من أسباب هذه الهجرة انتشار الوباء في مدينته النجف آنذاك، فقد وجدنا عدداً من العلماء والفضلاء يتركون النجف للإقامة في المناطق المحيطة بها، خاصة الحيرة وقراها إبان الحقبة نفسها، وكانت هذه المناطق معروفة بازدهارها ووفرة غلاتها ووجود فرص جمة للزراعة فيها»(٥).

والذي أراه أن عدم انتظام البراقي في سلك العلماء؛ وقد «اختص بالتاريخ وحده وهو أمر نادر في بيئته وعصره، إذ كان التاريخ لا يعدُّ في أفضل الفروض إلا كمالاً لصورة الرجل العالم»(٦). فكان بذلك هدفاً للنقد والاستخفاف، وقد سمعت أن الكثير ممن ينقده كان ينبزه بلقب (معيدي)، وهو يطلق على الساذج البسيط من الناس،

---

(١) البراقي، تاريخ الكوفة، ط٣، النجف الأشرف، ١٣٨٨ ـ ١٩٦، ص ١١١.
(٢) م.ن ص ٥٥.
(٣) مجلة الاعتدال، العدد الثالث، السنة الأولى، مقدمة تاريخ الكوفة.
(٤) التميمي، مشهد الإمام ١٦٨/٢، د. عماد عبد السلام، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥٦.
(٥) د. عماد، مجلة المؤرخ العربي.
(٦) م.ن.

والعاطل عن أي علم.

وما ذهب إليه أستاذنا الفاضل الدكتور عماد ـ ولو على وجه الاحتمال ـ من أن سبب الهجرة يعود إلى انتشار الوباء فيه نظر، فلم تشر المصادر إلى حدوث وباء في تلك السنة. وقد كان بعض الأعلام يذهبون إلى المناطق المحيطة بالنجف؛ طلباً للاستجمام والتخلص من حر الصيف، وبالأخص أيام التعطيل الدراسي، ولا ينطبق ذلك على البراقي فقد استقر في الحيرة مهاجراً من النجف.

وقد ذهب الطريحي إلى أن البراقي «استطاع أن يكتب في بعض الشؤون التاريخية كتابة ساذجة بسيطة، ويؤلف بعض الكتب التي لم تزل مخطوطة، حتى الآن، متروكة في بعض المكتبات»(١)، وقد أشار إلى ذلك الدكتور عماد عبد السلام بقوله: «ولقد انتقد مترجمو البراقي ضعف أسلوبه، وقله بضاعته من علوم العربية، إلا أننا لم نجد ما يؤيد هذا الرأي في أكثر مؤلفاته التي وقفنا عليها، فأسلوبه واضح ومعتاد وموفٍ بالغرض، كما أن خطه ظل يحتفظ بقوته حتى ما قبل وفاته بسنوات معدودات»(٢).

كما أشار البراقي في بعض مؤلفاته إلى سهام النقد الموجهة نحوه؛ قائلاً: «والذي دعاني إلى كتابه هذه الرسالة اللطيفة في أصل مسجد الكوفة، وكيف مبدؤه وأصله، ومن صلى فيه من الأنبياء وغيرهم، وفي فضله، وما أعد الله فيه من الثواب، إلى غير ذلك مما يناسبه، إذ تقول الناس عليّ بأقاويل باطلة، وينسبون إليّ زخاريف عاطلة»(٣).

مؤلفاته:

أ ـ المطبوعة:

١ ـ عقود اللؤلؤ والمرجان في تحديد أرض كوفان، ومن سكن فيها من القبائل والعربان. طبع باسم تاريخ الكوفة ثلاث طبعات في المطبعة الحيدرية، والرابعة في بيروت.

٢ ـ الدرة البهية والروضة المضيئة في تاريخ الروضة الحسينية، طبع بتحقيق علي الهاشمي الخطيب: النجف الأشرف المطبعة الحيدرية ١٣٨٩/ ١٩٧٠م.

ب ـ المخطوطات:

١ ـ الدرة الغروية والتحفة النجفية، لخصه الشيخ محمد عبود الكوفي

---

(١) مجلة المرشد السالفة الذكر والمقال للطريحي، والشيء بالشيء يذكر، أسفت كثيراً لما كتبه الأستاذ كاظم عبود الفتلاوي عن المرحوم الطريحي في كتابه (المنتخب في أعلام الفكر والأدب)، فأقول: إذا كان الطريحي كذلك، فعلام تجعله ضمن النخبة من رجال الفكر والأدب؟!!

(٢) مجلة المؤرخ العربي.

(٣) البراقي، البقعة البهية، فيما ورد في مبدأ الكوفة الزكية (مخطوط) ص ٢.

(ت ١٣٦٠/ ١٩٤٠م)[١]. وطبع ملخصه بتحقيق د. حسين علي محفوظ والشيخ عبد المولى الطريحي، النجف ١٣٧١.

٢ ـ رسالة صغرى في تاريخ النجف، ذكرها الشيخ محمد عبود الكافي.

٣ ـ رسالة كبرى في تاريخ النجف، نوه بها الشيخ الكوفي.

٤ ـ براقية السيرة في تحديد الحيرة، ذكرها الشبيبي وآغابزرك في نقباء البشر ٥٢٤.

٥ ـ الحنانة والثوية، رسالة في تحقيق هذين الموضعين، نسخة منها في مكتبة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء برقم ٧٣٦/٦.

٦ ـ قرة العين في من عمّر قبر أبي الحسنين، جعله ذيلاً للتحفة، الذريعة ١٧/ ٧٤.

٧ ـ الحسرة الدائمة الزفرات في عدد الهواشم الذين أصيبوا في الغاضريات، نسخة في مكتبة كاشف الغطاء ضمن مجموعة مرقم ٨٢٨.

٨ ـ البقعة البهية فيما ورد في مبدأ الكوفة الزكية، نسخة أطلعت عليها، وهي بخط المؤلف، ولا أعرف مصيرها الآن.

٩ ـ الجوهرة الزاهرة في فضل كربلاء ومن حلّ بها من الذرية الطاهرة، الذريعة ٥/ ٢٣٩، نقباء البشر ٥٢٦.

١٠ ـ منيع الشرف في مشاهير علماء النجف، ذكره الشبيبي.

١١ ـ كشف النقاب في فضل السادة الأنجاب، نوه به الشبيبي.

١٢ ـ كشف الأستار في أولاد خديجة من النبي المختار، نسخة منه في مكتبة كاشف الغطاء برقم ٢٢٨.

١٣ ـ السيرة البراقية في رد صاحب التحفة العنبرية [في أنساب خير البرية]، نسخة منه في مكتبة كاشف الغطاء برقم ٧.

١٤ ـ معدن الأنوار في نسب النبي وآله الأطهار، الذريعة ٢١/ ٢٢٠.

١٥ ـ بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين، الذريعة ٣/ ١٦٤.

١٦ ـ الشيخ المفيد، الذريعة ٤/١٦٦، نقباء البشر ٥٢٦.

١٧ ـ أكسير المقال في مشاهير الرجال، نقباء البشر ٥٢٦.

١٨ ـ إرشاد الأمة في جواز نقل الأموات إلى الأئمة، نقباء البشر ٥٢٥.

١٩ ـ التاريخ المجدول، نقباء البشر ٥٢٥.

٢٠ ـ تغيير الأحكام فيمن عبد الأصنام، نقباء البشر ٥٢٦.

٢١ ـ جلاء العين في الأوقات المخصوصة بزيارة الحسين عليه السلام، نقباء

---

(١) اعتمدنا في قائمة مؤلفات البراقي على العلامة آغابزرك في نقباء البشر والذريعة ومقالة الدكتور عماد عبد السلام.

البشر ٥٢٦.

٢٢ ـ رسالة في السهو والنسيان، وهل حصلا للنبي صلى الله عليه وآله، نقباء البشر ٥٢٦.

٢٣ ـ السر المكنون في الغائب المصون، نقباء البشر ٥٢٦.

٢٤ ـ هتك الحجاب في زواج السيدة أم كلثوم ربيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٨٣٨.

٢٥ ـ ترجمة السيدة زينب الكبرى، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٨٢٨.

٢٦ ـ كتاب قريش وأحوالهم، نقباء البشر ٥٢٦.

٢٧ ـ كتاب بني أمية، نقباء البشر ٥٢٥.

٢٨ ـ النخبة الجلية في أحوال الوهابية، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٦٩٣.

٢٩ ـ مجموعة أخبار وتاريخ، مكتبة كاشف الغطاء رقم ٨٤٧.

جـ ـ كتب ترجمها ولخصها واستنسخها:

١ ـ تاريخ قم، عرب الباب الثالث منه الذي يختص بذكر الطالبيين الذين سكنوا قم، وضم إليه قسماً من الباب الرابع في ذكر آل سهل الأشعريين النازلين بقم. مكتبة كاشف الغطاء برقم ٦/٧٣٤.

٢ ـ مختصر مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، مكتبة كاشف الغطاء المجاميع رقم ١٧.

٣ ـ مختصر الحدائق الوردية في أئمة الزيدية، للهمداني حميد بن أحمد، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٧٦١.

٤ ـ بحر الأنساب، مجهول المؤلف، الذريعة ٢٠/ ٢.

٥ ـ سبك الذهب في شبك النشب لمحمد بن القاسم الديباجي الحلي، الذريعة ١٢/ ١٣٣.

٦ ـ المجدي في أنساب الطالبيين، لابن أبي الغنائم العمري، الذريعة ٢٠/ ٢.

٧ ـ الدر المسلوك، لأحمد بن الحر، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٧٤٥.

٨ ـ تحفة الأزهار وزلال الأنهار لابن شدقم، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٦٩٥.

٩ ـ سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري، مكتبة كاشف الغطاء ضمن مجموع برقم ٧٢٣.

١٠ ـ تاريخ ابن خلدون، مكتبة كاشف الغطاء برقم ٧٤٣٣.

١١ ـ المسامرات والمحاضرات، لابن عربي، مكتبة كاشف الغطاء.

١٢ ـ عمدة الطالب، لابن عنبة، ذكره الدكتور عماد عبد السلام.

١٣ ـ الصحيفة السجادية، ذكره الدكتور عماد عبد السلام.

١٤ ـ كامل الزيارة، لابن قولويه، ذكره الدكتور عماد عبد السلام.

١٥ ـ لب الألباب في الأنساب، للفتوني، ذكره الدكتور عماد عبد السلام.

١٦ - الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، للهمداني، ذكره الدكتور عماد عبد السلام.

منهجـه:

مما لا شك فيه أن رجلاً عصامياً كالبراقي علّم نفسه بنفسه، وعاش في بيئة لم تعرف فلسلفة التاريخ؛ أو تسمع بفلاسفة التاريخ، لا بدّ أن يكون نمطياً في تأليفه، وهو جمع النصوص الدائرة في محور العنوان الذي يؤلف فيه، وهل انتهى هذا النمط من الكتب؟!!

«لقد عني البراقي في كتابه هذا - كما في أكثر كتبه الأخرى - بالمتابعة الميدانية لآثار المدن والمواضع التي يختارها موضوعات لكتاباته، ومعنى ذلك، أنه لم يكتفِ باختيار النصوص التاريخية من بطون الكتب، وإنما مضى فتأمل معطيات تلك النصوص، وحدد ما تشير إليه من مواضيع معروفة في زمانه، ثم استدل بما هو معروف أو شاخص، لتحديد مواقع ما ضاع أثره واندرس، وتعيين المواضع البائدة بحسب تسميات الأمكنة الحديثة، فأثبت بذلك بقدرته فيما يعرف بعلم الخطط، وهو دراسة المدن القديمة عن طريق الاستدلال بمواضعها المعروفة على ما هو غير معروف منها، وتلك في تقديرنا مزية مهمة تسجل له»[١].

أما ما ذكره الأميني في معجمه[٢] من أن البراقي «فقيه أصولي عالم متتبع»، ففيه أكثر من نظر، فلم تذكر مصادر سيرته شيئاً من ذلك، ولم يكن الرجل منتظماً في سلك علماء الدين - كما ذكرنا آنفاً - كما أن الباحث لا يجد في مؤلفاته ما يدل على مكانته في الفقه والأصول، وما ذكره الأميني إفراط في البراقي وتفريط في الفقاهة.

وفاته:

لبث البراقي في قريته منصرفاً إلى التأليف والبحث حتى وافاه الأجل المحتوم في العاشر من شعبان ١٣٣٢هـ/ ٥ تموز ١٩١٤م، فنقل إلى النجف الأشرف، ودفن في سرداب البيت الذي ولد فيه، وإلى جانبه قبر زوجه، ولا زال القبر ظاهراً للعيان، وشاهده خالٍ من تاريخ وفاته، رحمه الله برحمته الواسعة، وليس ذلك على الله بعزيز.

---

(١) د. عماد عبد السلام، مجلة المؤرخ العربي.
(٢) معجم رجال الفكر والأدب ١/ ٢٢٤.